

حقيقة الإيمان الذي ينجي صاحبه من الخلود في النار من كلام

(شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني)

المتوفى : ٧٢٨هـ

راجعه فضيلة الشيخ: عادل الشوربجي حفظه الله

بسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل، بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضالٍ تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم (ومنهم الإمام العلم شيخ الإسلام ابن تيمية).

ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدع، وأطلقوا عقال الفتنة فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله، وفي الله، وفي كتاب الله بغير علم.

يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن الضالين.

أما بعد:

فهذه مقولات شيخ الإسلام ابن تيمية التي تدل على قاعدة التلازم بين عمل القلب وعمل الجوارح مع كلامه رحمة الله عليه بأنه لابد من الاتيان بأعمال الجوارح مع عمل القلب حتى يُطلق لفظ الإيمان على العبد وأنه لا ينجو العبد من الخلود في النار إلا بعمل الجوارح مع عمل القلب.

وفى هذا بإذن الله وحوله وقوته ومدده رداً على من زعم بأن عمل القلب مع الشهادتين وقول القلب كاف للعبد من عدم الخلود في النار وإقرار المخالف بأن الإيمان قول وعمل والقول قولان والعمل عملان ولكن تأول أحاديث الشفاعة وخاصة حديث أبي سعيد الخدري.

فاللهم أنر بصيرتنا وألهمنا الحق وطريق الرشاد ونسأل الله العون والمدد.

وهذه المقتطفات من كلام شيخ الإسلام من كتابه الإيمان الاوسط وذلك أن الشيخ رحمه الله أفرد كتاباً في مسألة الإيمان وفصل فيها فلا يستدل بكلام مجمل له عليه رحمه الله في أي من كتبه على ما فصله في هذا

الكتاب إذ المفصل قاضى على المجمل وما أجمله شيخ الإسلام في غير هذا الكتاب بينه وفصله في هذا السفر العظيم.

وإليك هذه النقولات الهامة من كلامه رحمه الله فتدبرها والله يتولانا ويتولاك:

النقل الاول:

قال شيخ الإسلام رحمه الله:: فَإِنَّ اللَّهَ لَمَّا بَعَثَ مُحَمَّدًا رَسُولًا إلَى الْخَلْقِ كَانَ الْوَاجِبُ عَلَى الْخَلْقِ تَصْدِيقَهُ فِيمَا أَخْبَرَ وَطَاعَتَهُ فِيمَا أَمَرَ وَلَمْ يَأْمُرْهُمْ حِينَئِذٍ بِالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَلَا صِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ وَلَا حَجِّ الْبَيْتِ وَلَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ الْخَمْرَ وَالرِّبَا وَنَحْوَ ذَلِكَ وَلَا كَانَ أَكْثَرُ الْقُرْآنِ قَدْ نَزَلَ فَمَنْ صَدَّقَهُ حِينَئِذٍ فِيمَا نَزَّلَ مِنْ الْقُرْآنِ وَأَقَرَّ بِمَا أَمَرَ بِهِ مِنْ الشَّهَادَتَيْنِ وَتَوَابِعِ ذَلِكَ كَانَ ذَلِكَ الشَّخْصُ حِينَئِذٍ مُؤْمِنًا تَامَّ الإيمان الَّذِي وَجَبَ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ مِثْلُ ذَلِكَ الإيمان لَوْ أَتَى بِهِ بَعْدَ الْهِجْرَةِ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ وَلَوْ اقْتَصَرَ عَلَيْهِ كَانَ كَافِرًا[1]

التعليق: وقوله "كان كافراً" أي كفر أكبر مخرج عن الملة لأن سياق الكلام يدل على ذلك فهو يتكلم عن الإيمان الذى قسيمه الكفر.

إذن فلا بد من الإتيان بالعمل ....

والمخالف يستدل علينا من كلام شيخ الإسلام نفسه فقال: مهلاً فإن شيخ الإسلام له كلام أنه من الممكن أن أعمال الجوارح لا تتلازم مع أعمال القلوب عند الضعف وفى القلب إيمان.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: أَنَّ شُعَبَ الإيمان قَدْ تَتَلَازَمُ عِنْدَ الْقُوَّةِ وَلَا تَتَلَازَمُ عِنْدَ الضَّعْفِ فَإِذَا قَوِيَ مَا فِي الْقَلْبِ مِنْ التَّصْدِيقِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْمَحَبَّةِ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ أَوْجَبَ بُغْضَ أَعْدَاءِ اللَّهِ[2]

وما كنت أود أن أتى بهذا الكلام الآن ولكنى خشيت أن أنساه فإن المخالف لو أطال النفس قليلاً ثم نظر في الأمثلة التي ضربها شيخ الإسلام لعلم علم اليقين أنه ما قصد ما يرمى إليه من إمكانية أن يكون شخص

١-مجموع الفتاوى(٥١٨/٧)

٢- مجموع الفتاوى (٥٢٢/٧)

ما أتى بأي عمل من أعمال الجوارح وفى قلبه إيمان ينجيه يوم القيامة فإن شيخ الإسلام ضرب عدة أمثلة لأكابر الصحابة في مواقف حدث فيها ضعف للإيمان كما حدث مع حاطب بن أبى بلتعة لما كاتب المشركين ، وسعد بن عبادة لما انتصر لابن أُبي في قصة الإفك , ورمى بعض الصحابة لمالك بن الدخشم [الدخشن] بالنفاق.

فالمخالف أمام أمرين :

١- إما أن يقر معنا أن شيخ الإسلام إنما قصد ما قلناه بضربه هذه الامثلة فلم يقصد أنهم قوم لم يعملوا خيراً قط وثبت لهم عمل القلب وقوله والإتيان بالشهادتين.

٢- أو أن شيخ الإسلام قصد شيئاً أخر لم يُبينه فصار كلامه هنا مجملاً فيحمل على كلامه المفصل كما سنأتي به إن شاء الله وكما مر في نقلنا الاول فأيهما تختار!!!

النقل الثاني :

قال شيخ الإسلام رحمه الله:: فَالإيمان مُتَضَمِّنٌ لِلْإِقْرَارِ للرسول والاقرار بِمَا أَخْبَرِبِهِ وَالْكُفْرُ تَارَةً يَكُونُ بِالنَّظَرِ إلَى عَدَمِ تَصْدِيقِ الرَّسُولِ وَالإيمان بِهِ وَهُوَ مِنْ هَذَا الْبَابِ يَشْتَرِكُ فِيهِ كُلُّ مَا أَخْبَرَ بِهِ. وَ تَارَةً بِالنَّظَرِ إلَى عَدَمِ الْإِقْرَارِ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ وَالْأَصْلُ فِي ذَلِكَ هُوَ الْإِخْبَارُ بِاَللَّهِ وَبِأَسْمَائِهِ وَلِهَذَا كَانَ جَحْدُ مَا يَتَعَلَّقُ بِهَذَا الْبَابِ أَعْظَمَ مَنْ جَحْدِ غَيْرِهِ. وَإِنْ كَانَ الرَّسُولُ أَخْبَرَ بِكِلَيْهِمَا ثُمَّ مُجَرَّدُ تَصْدِيقِهِ فِي الْخَبَرِ وَالْعِلْمِ بِثُبُوتِ مَا أَخْبَرَ بِهِ إذَا لَمْ يَكُنْ مَعَهُ طَاعَةٌ لِأَمْرِهِ لَا بَاطِنًا وَلَا ظَاهِرًا وَلَا مَحَبَّةٌ لِلَّهِ وَلَا تَعْظِيمٌ لَهُ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ إيمَانًا[١]

التعليق: أي إيماناً ينجى صاحبه من الخلود في النار.

فانظر إلى أخر ما قاله رحمه الله في هذه الفقرة من ربطه الباطن بالظاهر وذلك متعلق بمحبة الله وتعظيمه وكل ذلك مجموعاً هو الإيمان وإنك إذا أردت فصل أحد أجزاء الفقرة اختل المعنى فإذا أردت أن تحذف " لا باطناً

١- مجموع الفتاوى (٥٣٤/٧)

" فكيف تكون محبة الله موجودة وكذلك إذا أردت حذف "لا ظاهراً" " ولا محبة لله " " ولا تعظيم له " فصاروا جميعاً لُحمة واحدة والا ما كان ايمانا مرضيا.

النقل الثالث :

قال شيخ الإسلام رحمه الله:: فَالإيمان لَا بُدَّ فِيهِ مِنْ هَذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ: التَّصْدِيقِ بِالْحَقِّ وَالْمَحَبَّةِ لَهُ فَهَذَا أَصْلُ الْقَوْلِ وَهَذَا أَصْلُ الْعَمَلِ. ثُمَّ الْحُبُّ التَّامُّ مَعَ الْقُدْرَةِ يَسْتَلْزِمُ حَرَكَةَ الْبَدَنِ بِالْقَوْلِ الظَّاهِرِ، وَالْعَمَلُ الظَّاهِرُ ضَرُورَةٌ.

ثم قال شيخ الإسلام رحمه الله:: وَإِذَا قَامَ بِالْقَلْبِ التَّصْدِيقُ بِهِ وَالْمَحَبَّةُ لَهُ لَزِمَ ضَرُورَةَ أَنْ يَتَحَرَّكَ الْبَدَنُ بِمُوجِبِ ذَلِكَ مِنْ الْأَقْوَالِ الظَّاهِرَةِ؛ وَالْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ فَمَا يَظْهَرُ عَلَى الْبَدَنِ مِنْ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ هُوَ مُوجَبُ مَا فِي الْقَلْبِ وَلَازِمُهُ؛ وَدَلِيلُهُ وَمَعْلُولُهُ كَمَا أَنَّ مَا يَقُومُ بِالْبَدَنِ مِنْ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ لَهُ أَيْضًا تَأْثِيرٌ فِيمَا فِي الْقَلْبِ. فَكُلٌّ مِنْهُمَا يُؤَثِّرُ فِي الْآخَرِ لَكِنَّ الْقَلْبَ هُوَ الْأَصْلُ، وَالْبَدَنَ فَرْعٌ لَهُ وَالْفَرْعُ يُسْتَمَدُّ مِنْ أَصْلِهِ، وَالْأَصْلُ يَثْبُتُ وَيَقْوَى بِفَرْعِهِ. كَمَا فِي الشَّجَرَةِ الَّتِي يُضْرَبُ بِهَا الْمَثَلُ لِكَلِمَةِ الإيمان بها[1]

التعليق: وواضح فيما مر من قاعدة التلازم أنه إذا كان القلب سليماً ويعمل فلا بد من عمل الجوارح ويظهر أثر عمل القلب في الاعمال الظاهرة وما دام لم يظهر عُلِمَ أنه لم يعمل ؟ فهل أنت متفق معي في ذلك أيها المخالف ؟ .....

إن فَهِم مقصِد الكلام فسيُقر ولكنه سيقول ولكن قد يعمل القلب ولا تعمل الجوارح فتبطل قاعدتُك فتقول له : لا ، لأن عمل القلب هذا لا يقوى على أن يجعل الجوارح تعمل وسأضرب لك مثلاً واقعياً فمثلاً إذا نظرت الى بعض السيارات ستجد فيها محركات قديمة أحياناً تعمل عملاً ضعيفاً جداً لا يقوى على أن يجعل

١- مجموع الفتاوى (٥٤١/٧)

٢- مجموع الفتاوى (٥٢٧ /٧)

السيارة تسير ولكن لضعف البطارية وعجزها عن القيام بما يوجب عليها حركة السيارة ؟ فهل تقر معي بالمثال ؟!

سيقول نعم قد يوجد ولكن ما دخل ذلك فيما نتكلم فيه ، فأقول لك إن القلب قد يعمل عملاً ضعيفاً جداً ولا يجعل الجوارح تتحرك ، فمر بنا من كلام شيخ الإسلام في كتاب الإيمان التفريق بين الهم والارادة ، فالهم قد لا يقترن به شيء من الاعمال الظاهرة مع أن القلب قد عمل (قال شيخ الإسلام:- فَرْقٌ بَيْنَ الْهَمِّ وَالْإِرَادَةِ " فَالْهَمُّ " قَدْ لَا يَقْتَرِنُ بِهِ شَيْءٌ مِنْ الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ[٢] .. إلى ان قال شيخ الإسلام رحمه الله:- وَأَمَّا " الْإِرَادَةُ الْجَازِمَةُ " فَلَا بُدَّ أَنْ يَقْتَرِنَ بِهَا مَعَ الْقُدْرَةِ فِعْلُ الْمَقْدُورِ[٢])

وكلام شيخ الإسلام في أن عمل القلب أصل وعمل الجوارح فرع عنه فافهمه بفهم قاعدة التلازم التي قررها شيخ الإسلام قبل ضربه المثال بالشجرة تفهم مراده فإنه ما أراد الفصل فإن الشجرة لُحمة واحدة لا يستغنى أي من أجزائها عن الآخر وإلا فإن الفرع إذا وُجد وحده بدون جذر فلا فائدة منه وكذا الجذر وحده بدون فرع لا فائدة منه البتة فافهمه كأنه لُحمة واحدة ....

النقل الرابع :

قال شيخ الإسلام رحمه الله:: وَالْأَقْوَالُ وَالْأَعْمَالُ الظَّاهِرَةُ موجب الْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ وَلَازِمُهَا

وقال أيضاً: إنَّ الإيمان اسْمٌ لِجَمِيعِ الطَّاعَاتِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ[١]

وقال شيخ الإسلام رحمه الله:: وَالإيمان أَنْ تُؤْمِنَ بِاَللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَمَتَى حَصَلَ لَهُ هَذَا الإيمان وَجَبَ ضَرُورَةً أَنْ يَحْصُلَ لَهُ الْإِسْلَامُ الَّذِي هُوَ الشَّهَادَتَانِ وَالصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ وَالصِّيَامُ وَالْحَجُّ؛ لِأَنَّ إيمَانَهُ بِاَللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ يَقْتَضِي الِاسْتِسْلَامَ لِلَّهِ. وَالِانْقِيَادَ لَهُ

١- مجموع الفتاوى (٧/٥٥٢)

وَإِلَّا فَمِنْ الْمُمْتَنِعِ أَنْ يَكُونَ قَدْ حَصَلَ لَهُ الْإِقْرَارُ وَالْحُبُّ وَالآنقِيَادُ بَاطِنًا وَلَا يَحْصُلُ ذَلِكَ فِي الظَّاهِرِ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ كَمَا يَمْتَنِعُ وُجُودُ الْإِرَادَةِ الْجَازِمَةِ مَعَ الْقُدْرَةِ بِدُونِ وُجُودِ الْمُرَادِ[1]

فقرر شيخ الإسلام أنه يمتنع وجود من يكون في قلبه إيمان ولا يأتي بأركان الإسلام وممتنع أن يكون عنده إرادة جازمة ولا يظهر ذلك على جوارحه. (قاعدة التلازم)

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: بعد الفقرة السابقة: وَبِهَذَا تَعْرِفُ أَنَّ مَنْ آمَنَ قَلْبُهُ إيمَانًا جَازِمًا امْتَنَعَ أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ بِالشَّهَادَتَيْنِ مَعَ الْقُدْرَةِ فَعَدَمُ الشَّهَادَتَيْنِ مَعَ الْقُدْرَةِ مُسْتَلْزِمٌ انْتِفَاءَ الإيمان الْقَلْبِيِّ التَّامِّ[2] (أي الذى ينجى صاحبه من الخلود في النار)

وقال شيخ الإسلام: وَمَنْشَأُ الْغَلَطِ (من قبل من انحرف في مسألة الإيمان من المرجئة بأنواعهم)فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ مِنْ وُجُوهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ الْعِلْمَ وَالتَّصْدِيقَ مُسْتَلْزِمٌ لِجَمِيعِ مُوجِبَاتِ الإيمان (موجبات الإيمان هي الاعمال الظاهرة ولا بد)

الثَّانِي : ظَنَّ الظَّانُّ أَنَّ مَا فِي الْقُلُوبِ لَا يَتَفَاضَلُ النَّاسُ فِيهِ.

الثَّالِثُ: ظَنَّ الظَّانُّ أَنَّ مَا فِي الْقَلْبِ مِنْ الإيمان الْمَقْبُولِ يُمْكِنُ تَخَلُّفُ الْقَوْلِ الظَّاهِرِ وَالْعَمَلِ الظَّاهِرِ عَنْهُ(الإيمان المقبول هو الذى ينجى صاحبه من النار)

الرَّابِعُ : ظَنَّ الظَّانُّ أَنْ لَيْسَ فِي الْقَلْبِ إلَّا التَّصْدِيقُ وَأَنْ لَيْسَ الظَّاهِرُ إلَّا عَمَلُ الْجَوَارِحِ. وَالصَّوَابُ أَنَّ الْقَلْبَ لَهُ عَمَلٌ مَعَ التَّصْدِيقِ وَالظَّاهِرُ قَوْلٌ ظَاهِرٌ وَعَمَلٌ ظَاهِرٌ وَكِلَاهُمَا مُسْتَلْزِمٌ لِلْبَاطِنِ[3]

١- مجموع الفتاوى (٥٥٣/٧)

٢- مجموع الفتاوى (٥٥٣/٧)

٢- مجموع الفتاوى (٥٥٤/٧)

التعليق: وشيخ الإسلام أوجز غلط المنحرفين عن معتقد أهل السنة في مسألة الإيمان فيما مر . فنسأل المخالف الآن هل يقول شيخ الإسلام ابن تيمية أن تارك عمل الجوارح بالكلية وهو يبين غلطهم فيما مر من كلام ؟!!!

أم أن شيخ الاسم رحمه الله متناقض!! وحاشاه من إمام إنما يُؤصل ويقرر فيما مر من هنا أنه لا بد من الإتْيَان بعمل القلب وقوله وقول اللسان وعمل الجوارح كما في الموضع الثالث والرابع.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله:: الْعَمَلُ الظَّاهِرُ لَازِمٌ لِلْعَمَلِ الْبَاطِنِ لَا يَنْفَكُّ عَنْهُ[1]

التعليق: وهذه قاعدة التلازم وكثيراً ما يدندن عليها شيخ الإسلام مكرراً لها بألفاظ مختلفة وهذه أيضاً نسأل المخالف عنها هل تقر بما قرره شيخ الإسلام في هذه القاعدة أم لا؟!!

ثم قال شيخ الإسلام رحمه الله:: فَالْقَلْبُ يُصَدِّقُ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ، وَاللِّسَانُ يُصَدِّقُ مَا فِي الْقَلْبِ، وَالْعَمَلُ يُصَدِّقُ الْقَوْلَ كَمَا يُقَالُ: صَدَّقَ عَمَلُهُ

ثم قال شيخ الإسلام رحمه الله:: فَإِخْرَاجُهُمْ (أي المرجئة) الْعَمَلَ يُشْعِرُ أَنَّهُمْ أَخْرَجُوا أَعْمَالَ الْقُلُوبِ أَيْضًا وَهَذَا بَاطِلٌ قَطْعًا فَإِنَّ مَنْ صَدَّقَ الرَّسُولَ وَأَبْغَضَهُ وَعَادَاهُ بِقَلْبِهِ وَبَدَنِهِ فَهُوَ كَافِرٌ قَطْعًا بِالضَّرُورَةِ وَإِنْ أَدْخَلُوا أَعْمَالَ الْقُلُوبِ فِي الإيمان أَخْطَئُوا أَيْضًا؛ لِامْتِنَاعِ قِيَامِ الإيمان بِالْقَلْبِ مِنْ غَيْرِ حَرَكَةِ بَدَنٍ[2]

قال محقق كتاب الإيمان الاوسط: وفى هذا دليل على ما سبق ذكره من أن الخلاف بين من يسمون بالمرجئة الفقهاء والسلف خلاف حقيقي له أسبابه وأثاره على الأقل في مسألة تارك جنس العمل.

وحق له أن يقول ذلك فكلام شيخ الإسلام صريح في حتمية وجود عمل الجوارح

شبهة يستدل بها المخالف على عدم تلازم شعب الإيمان عند الضعف :

١- مجموع الفتاوى (٧/٥٥٤)

٢- مجموع الفتاوى (٧/٥٥٥، ٥٥٦)

قال شيخ الإسلام: الْأَصْلُ الثَّانِي: أَنَّ شُعَبَ الإيمان قَدْ تَتَلَازَمُ عِنْدَ الْقُوَّةِ وَلَا تَتَلَازَمُ عِنْدَ الضَّعْفِ[1]

التعليق: فيستدل أنه قد يكون في القلب إيمان ولا يوجد عمل للجوارح ، مع أن ذلك منافي لما قرره شيخ الإسلام في كلامه الكثير عن قاعدة التلازم ، ولكن حتى تفهم كلامه في الاصل الثاني افهمه بالأمثلة التي ضربها رحمه الله .

١- واقعة سعد بن عبادة لما انتصر لابن أُبي في قصة الافك.

٢- واقعة حاطب بن أبي بلتعة وما قاله عمر عنه " أضرب عنق هذا المنافق " وغير ذلك فهل تفهم من الامثلة أنهم لم يعملوا خيراً قط ؟!! الجواب لك وكن منصفاً والأمر واضح.

وقال شيخ الإسلام: إذَا تَبَيَّنَ هَذَا(أي تفاضل الإيمان وذكر شيخ الاسم أوجه سبعة للتفاضل) وَعُلِمَ أَنَّ الإيمان الَّذِي فِي الْقَلْبِ مِنْ التَّصْدِيقِ وَالْحُبِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ الْأُمُورَ الظَّاهِرَةَ مِنْ الْأَقْوَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ؛ كَمَا أَنَّ الْقَصْدَ التَّامَّ مَعَ الْقُدْرَةِ يَسْتَلْزِمُ وُجُودَ الْمُرَادِ وَأَنَّهُ يَمْتَنِعُ مَقَامَ الإيمان الْوَاجِبِ فِي الْقَلْبِ مِنْ غَيْرِ ظُهُورِ مُوجِبِ ذَلِكَ وَمُقْتَضَاهُ زَالَتْ الشُّبَهُ[2]

واستلزام الاعمال الظاهرة لعمل القلب ظاهر فيما مر وقال شيخ الإسلام رحمه الله: أن يمتنع أن يكون هناك إيمان في القلب من غير وجود عمل ظاهر

ثم قال شيخ الإسلام رحمه الله:: وكذلك اسْمِ الْإِسْلَامِ إذا جُردكما في قوله تعالى { إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ } [١٩:آل عمران] وقَوْله تَعَالَى {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ} دَخَلَ فِيهِ الْبَاطِنُ فَلَوْ أَتَى بِالْعَمَلِ الظَّاهِرِ دُونَ الْبَاطِنِ لَمْ يَكُنْ مِمَّنْ أَتَى بِالدِّينِ الَّذِي هُوَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ[3]

١- مجموع الفتاوى (٥٢٢/٧)

٢- مجموع الفتاوى (٥٧٥/٧)

٣- مجموع الفتاوى (٥٧٦/٧)

التعليق: فعلم أن وجود العمل الظاهر ليس دليلاً على ما في القلب يقيناً أما وجود ما في القلب لا بد له من أن يظهر أثره على الجوارح.

ويفهم منها أن من أتى بالعمل الباطن دون الظاهر لم يكن ممن أتى بالدين الذى هو عند الله الاسلام.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله:: وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ قَدْ يَدْخُلُ فِي الِاسْمِ الْمُطْلَقِ أُمُورٌ كَثِيرَةٌ وَإِنْ كَانَتْ قَدْ تُخَصُّ بِالذِّكْرِ. وَقِيلَ لِمَنْ قَالَ: دُخُولُ الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ فِي اسْمِ الإيمان مَجَازٌ نِزَاعُك لَفْظِيٌّ؛ فَإِنَّك إذَا سَلَّمْت أَنَّ هَذِهِ لَوَازِمَ الإيمان الْوَاجِبُ الَّذِي فِي الْقَلْبِ وَمُوجِبَاتِهِ كَانَ عَدَمُ اللَّازِمِ مُوجِبًا لِعَدَمِ الْمَلْزُومِ فَيَلْزَمُ مِنْ عَدَمِ هَذَا الظَّاهِرِ عَدَمُ الْبَاطِنِ فَإِذَا اعْتَرَفْت بِهَذَا كَانَ النِّزَاعُ لَفْظِيًّا[1]

التعليق: يا الله ما أصرح هذا الكلام وأضبطه فإن المخالف كثيراً ما يُدندن حول مسألة خلاف لفظي ويعلو صوته وهذا كلام شيخ الإسلام فانظر الى ما وضعه من ضابط فإنه ألزم المخالف أن يقرر أن الاعمال الظاهرة داخلة في اسم الإيمان ثم يُقر بأنها من لوازم الإيمان الذى في القلب ثم ألزمه أن عدم الظاهر دليل على عدم الباطن فماذا يريد المخالف ؟؟ لا أظن إلا الشنشنة والضجيج لنشر ما يريده وطمس الحق الظاهر البين.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله:: وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ فَإِنَّ مُجَرَّدَ التَّكَلُّمِ بِالشَّهَادَتَيْنِ لَيْسَ مُسْتَلْزِمًا لِلْإِيمَانِ النَّافِعِ عِنْدَ اللَّهِ.

إلى أن قال : فَتَبَيَّنَ أَنَّ الْأَعْمَالَ الظَّاهِرَةَ الصَّالِحَةَ لَا تَكُونُ ثَمَرَةً لِلْإِيمَانِ الْبَاطِنِ وَمَعْلُولَةً لَهُ إلَّا إذَا كَانَ مُوجِبًا لَهَا وَمُقْتَضِيًا لَهَا وَحِينَئِذٍ فَالْمُوجَبُ لَازِمٌ لِمُوجِبِهِ، وَالْمَعْلُولُ لَازِمٌ لِعِلَّتِهِ وَإِذَا نَقَصَتْ الْأَعْمَالُ الظَّاهِرَةُ الْوَاجِبَةُ كَانَ ذَلِكَ لِنَقْصِ مَا فِي الْقَلْبِ مِنْ الإيمان فَلَا يُتَصَوَّرُ مَعَ كَمَالِ الإيمان الْوَاجِبِ الَّذِي فِي الْقَلْبِ أَنْ تُعْدَمَ الْأَعْمَالُ الظَّاهِرَةُ الْوَاجِبَةُ؛ بَلْ يَلْزَمُ مِنْ وُجُودِ هَذَا كَامِلًا وُجُودُ هَذَا كَامِلًا، كَمَا يَلْزَمُ مِنْ نَقْصِ هَذَا نَقْصُ

١- مجموع الفتاوى (٥٧٩/٧)

هَذَا؛ إذْ تَقْدِيرُ إيمَانٍ تَامٍّ فِي الْقَلْبِ بِلَا ظَاهِرٍ مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ كَتَقْدِيرِ مُوجَبٍ تَامٍّ بِلَا مُوجِبِهِ وَعِلَّةٍ تَامَّةٍ بِلَا مَعْلُولِهَا وَهَذَا مُمْتَنِعٌ[(١)]

قال محقق كتاب الإيمان الاوسط: وخلاصة ما تقدم أن الاعمال الظاهرة من لوازم الإيمان الباطن فمتى وُجد الإيمان الباطن وُجدت الاعمال الظاهرة بحسبه ولا يلزم من وجود الاعمال الظاهرة وجود الإيمان الباطن كما في أعمال المنافق ولا يتصور أصلاً أن هناك إيمان في الباطل ولا يظهر على البدن شيء من الاعمال الظاهرة إلا عند الجهمية ومن اتبعهم

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: وَإِذَا كَانَتْ الْأَعْمَالُ والتروك الظَّاهِرَةُ لَازِمَةً لِلْإِيمَانِ الْبَاطِنِ كَانَتْ مِنْ مُوجَبِهِ وَمُقْتَضَاهُ وَكَانَ مِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّهَا تَقْوَى بِقُوَّتِهِ وَتَزِيدُ بِزِيَادَتِهِ وَتَنْقُصُ بِنُقْصَانِهِ فَإِنَّ الشَّيْءَ الْمَعْلُولَ لَا يَزِيدُ إلَّا بِزِيَادَةِ مُوجَبِهِ وَمُقْتَضِيهِ وَلَا يَنْقُصُ إلَّا بِنُقْصَانِ ذَلِكَ؛ فَإِذَا جُعِلَ الْعَمَلُ الظَّاهِرُ مُوجَبَ الْبَاطِنِ وَمُقْتَضَاهُ لَزِمَ أَنْ تَكُونَ زِيَادَتُهُ لِزِيَادَةِ الْبَاطِنِ فَيَكُونُ دَلِيلًا عَلَى زِيَادَةِ الإيمان الْبَاطِنِ وَنَقْصِهِ لِنَقْصِ الْبَاطِنِ فَيَكُونُ نَقْصُهُ دَلِيلًا عَلَى نَقْصِ الْبَاطِنِ وَهُوَ الْمَطْلُوبُ[(٢)]

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ الإيمان الْبَاطِنَ يَسْتَلْزِمُ الْإِقْرَارَ الظَّاهِرَ؛ بَلْ وَغَيْرَهُ وَأَنَّ وُجُودَ الإيمان الْبَاطِنِ تَصْدِيقًا وَحُبًّا وَانْقِيَادًا بِدُونِ الْإِقْرَارِ الظَّاهِرِ مُمْتَنِعٌ[(٣)]

التعليق: فالإيمان الباطن هو الاقرار يستلزم الاقرار الظاهر باللسان (قول اللسان) بل وغيره أي وعمل الجوارح.

ثم ضبط شيخ الإسلام بأنه ممتنع أن يكون هناك حباً وانقياداً بدون إقرار ظاهر فذلك ممتنع.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: وَمِنْ الْمُمْتَنِعِ أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا إيمَانًا ثَابِتًا فِي قَلْبِهِ بِأَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْحَجَّ وَيَعِيشُ دَهْرَهُ لَا يَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً وَلَا يَصُومُ مِنْ رَمَضَانَ وَلَا يُؤَدِّي لِلَّهِ زَكَاةً وَلَا يَحُجُّ إلَى بَيْتِهِ فَهَذَا مُمْتَنِعٌ وَلَا يَصْدُرُ هَذَا إلَّا مَعَ نِفَاقٍ فِي الْقَلْبِ وَزَنْدَقَةٍ لَا مَعَ إيمَانٍ صَحِيحٍ[(١)]

١- مجموع الفتاوى (٧/٥٨٠، ٥٨٢)

٢- مجموع الفتاوى (٧/٥٨٥)

٣- مجموع الفتاوى (٧/٦٠٩)

فأين المتفيهقون الذين يقررون أن شيخ الإسلام ذكر أن مسألة تارك العمل بالكلية (جنس العمل كما يقولون) يُقرر أن المسألة خلافية ؟!

وقد عزى محقق كتاب الايمان الاوسط نقل لشيخ الإسلام بمعنى الكلام الذى مر في مجموع الفتاوى.

قال شيخ الإسلام رحمه الله:: فَمَنْ كَانَ مُصِرًّا عَلَى تَرْكِهَا (أي الصلاة) حَتَّى يَمُوتَ لَا يَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً قَطُّ، فَهَذَا لَا يَكُونُ قَطُّ مُسْلِمًا مُقِرًّا بِوُجُوبِهَا، فَإِنَّ اعْتِقَادَ الْوُجُوبِ، وَاعْتِقَادَ أَنَّ تَارِكَهَا يَسْتَحِقُّ الْقَتْلَ هَذَا دَاعٍ تَامٌّ إلَى فِعْلِهَا، وَالدَّاعِي مَعَ الْقُدْرَةِ يُوجِبُ وُجُودَ الْمَقْدُورِ، فَإِذَا كَانَ قَادِرًا وَلَمْ يَفْعَلْ قَطُّ عُلِمَ أَنَّ الدَّاعِيَ فِي حَقِّهِ لَمْ يُوجَدْ. وَالِاعْتِقَادُ التَّامُّ لِعِقَابِ التَّارِكِ بَاعِثٌ عَلَى الْفِعْلِ...

فَأَمَّا مَنْ كَانَ مُصِرًّا عَلَى تَرْكِهَا لَا يُصَلِّي قَطُّ، وَيَمُوتُ عَلَى هَذَا الْإِصْرَارِ وَالتَّرْكِ فَهَذَا لَا يَكُونُ مُسْلِمًا؛ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ يُصَلُّونَ تَارَةً، وَيَتْرُكُونَهَا تَارَةً، فَهَؤُلَاءِ لَيْسُوا يُحَافِظُونَ عَلَيْهَا، وَهَؤُلَاءِ تَحْتَ الْوَعِيدِ ...... **الى أن قال**: فَالْمُحَافِظُ عَلَيْهَا الَّذِي يُصَلِّيهَا فِي مَوَاقِيتِهَا، كَمَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى، وَالَّذِي يُؤَخِّرُهَا أَحْيَانًا عَنْ وَقْتِهَا، أَوْ يَتْرُكُ وَاجِبَاتِهَا، فَهَذَا تَحْتَ مَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَقَدْ يَكُونُ لِهَذَا نَوَافِلُ يُكَمِّلُ بِهَا فَرَائِضَهُ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ[٢]

وقال شيخ الإسلام: وَلَا يُتَصَوَّرُ فِي الْعَادَةِ أَنَّ رَجُلًا يَكُونُ مُؤْمِنًا بِقَلْبِهِ مُقِرًّا بِأَنَّ اللَّهَ أَوْجَبَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ مُلْتَزِمًا لِشَرِيعَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا جَاءَ بِهِ يَأْمُرُهُ وَلِيُّ الْأَمْرِ بِالصَّلَاةِ فَيَمْتَنِعُ حَتَّى يُقْتَلَ وَيَكُونُ مَعَ ذَلِكَ مُؤْمِنًا فِي الْبَاطِنِ قَطُّ لَا يَكُونُ إلَّا كَافِرًا وَلَوْ قَالَ أَنَا مُقِرٌّ بِوُجُوبِهَا غَيْرَ أَنِّي لَا أَفْعَلُهَا كَانَ هَذَا الْقَوْلُ مَعَ هَذِهِ الْحَالِ كَذِبًا مِنْهُ كَمَا لَوْ أَخَذَ يُلْقِي الْمُصْحَفَ فِي الْحَشِّ وَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّ مَا فِيهِ كَلَامُ اللَّهِ أَوْ جَعَلَ يَقْتُلُ نَبِيًّا مِنْ الْآنبِيَاءِ وَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنْ الْأَفْعَالِ الَّتِي تُنَافِي إيمَانَ الْقَلْبِ فَإِذَا قَالَ أَنَا مُؤْمِنٌ بِقَلْبِي مَعَ هَذِهِ الْحَالِ كَانَ كَاذِبًا فِيمَا أَظْهَرَهُ مِنْ الْقَوْلِ.

١- مجموع الفتاوى (٧/٦١١)

٢- مجموع الفتاوى (٢٢/٤٩)

ثم قال شيخ الإسلام رحمه الله:: فَمَنْ عَرَفَ ارْتِبَاطَ الظَّاهِرِ بِالْبَاطِنِ زَالَتْ عَنْهُ الشُّبْهَةُ فِي هَذَا الْبَابِ وَعَلِمَ أَنَّ مَنْ قَالَ مِنْ الْفُقَهَاءِ أَنَّهُ إذَا أَقَرَّ بِالْوُجُوبِ وَامْتَنَعَ عَنْ الْفِعْلِ لَا يُقْتَلُ أَوْ يُقْتَلُ مَعَ إسْلَامِهِ؛ فَإِنَّهُ دَخَلَتْ عَلَيْهِ الشُّبْهَةُ الَّتِي دَخَلَتْ عَلَى الْمُرْجِئَةِ وَالْجَهْمِيَّة وَالَّتِي دَخَلَتْ عَلَى مَنْ جَعَلَ الْإِرَادَةَ الْجَازِمَةَ مَعَ الْقُدْرَةِ التَّامَّةِ لَا يَكُونُ بِهَا شَيْءٌ مِنْ الْفِعْلِ[1]

قال شيخ الإسلام: وَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الدِّينَ لَا بُدَّ فِيهِ مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ وَأَنَّهُ يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا بِاَللَّهِ وَرَسُولِهِ بِقَلْبِهِ أَوْ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ وَلَمْ يُؤَدِّ وَاجِبًا ظَاهِرًا وَلَا صَلَاةً وَلَا زَكَاةً وَلَا صِيَامًا وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ الْوَاجِبَاتِ لَا لِأَجْلِ أَنَّ اللَّهَ أَوْجَبَهَا مِثْلَ أَنْ يُؤَدِّيَ الْأَمَانَةَ أَوْ يُصَدِّقَ الْحَدِيثَ أَوْ يَعْدِلَ فِي قَسَمِهِ وَحُكْمِهِ مِنْ غَيْرِ إيمَانٍ بِاَللَّهِ وَرَسُولِهِ لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ مِنْ الْكُفْرِ.

ثم قال شيخ الإسلام رحمه الله:: وَمَنْ قَالَ: بِحُصُولِ الإيمان الْوَاجِبِ (الذى ينجى صاحبه من النار) بِدُونِ فِعْلِ شَيْءٍ مِنْ الْوَاجِبَاتِ سَوَاءٌ جَعَلَ فِعْلَ تِلْكَ الْوَاجِبَاتِ لَازِمًا لَهُ؛ أَوْ جُزْءًا مِنْهُ فَهَذَا نِزَاعٌ لَفْظِيٌّ كَانَ مُخْطِئًا خَطَأً بَيِّنًا وَهَذِهِ بِدْعَةُ الْإِرْجَاءِ الَّتِي أَعْظَمَ السَّلَفُ وَالْأَئِمَّةُ الْكَلَامَ فِي أَهْلِهَا وَقَالُوا فِيهَا مِنْ الْمَقَالَاتِ الْغَلِيظَةِ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ وَالصَّلَاةُ هِيَ أَعْظَمُهَا وَأَعَمُّهَا وَأَوَّلُهَا وَأَجَلُّهَا[2]

.... انتهي نقلنا من كتاب الإيمان الأوسط بالترتيب بغض النظر عن تجميع كل مجموعة من كلام شيخ الاسلام تحت عنوان معين.

ونسأل الله عز وجل القبول والإخلاص وان ينفعنا بما علمنا في الدنيا والآخرة.

١- مجموع الفتاوى (٧/٦١٥، ٦١٦)

٢- مجموع الفتاوى (٧/٦٢١)